المنهج التأليفي في التراث المخطوط: أحمد بابا التنبكتي السوداني نموذجا

الأستاذ/ عبد العزيز أبوبكر، معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت

abazize.m@gmail.com

الدكتور/ دريس تراورى، معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت

idristraore@gmail.com

الملخص

تتناول هذه الدراسة المنهج التأليفي في التراث المخطوط من خلال دراسة تحليلية لمنجزات أحمد بابا التنبكتي (1556-1627م)، أحد أبرز أعلام الفكر الإسلامي في منطقة السودان. تسلط الدراسة الضوء على الإطار العام للمنهج التأليفي الذي شكل ملامح التأليف في المخطوطات العربية، موضحًا القواسم المشتركة التي تجلت في أسلوب التحرير، وسياقات النقل، والرموز المستخدمة في تدوين المخطوطات. يركز البحث على إبراز مناهج التأليف في التراث المخطوط، مع تفصيل المنهجيات التي اعتمدها المؤلفون في الجمع، والشرح، والتلخيص، بالإضافة إلى استعراض أنماط التأليف المختلفة وفقًا للغرض العلمي. تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن الخصائص العامة للمنهج التأليفي في المخطوطات، وكيفية تجسيدها في أعمال أحمد بابا التنبكتي، الذي ترك إرثًا ثقافيًا زاخرًا يعكس مراحل تطور العلوم في عصره. استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستعينًا بتحليل محتوى مجموعة من مؤلفاته المخطوطة لفهم منهجيته في التدوين العلمي. أظهرت النتائج أن أحمد بابا تبنى أساليب تأليفية متنوعة، منها منهج تكميل الناقص، وشرح الغامض، واختصار المطول، مع التزامه بترتيب منطقي ومنهجي يظهر شخصيته العلمية الموسوعية. كما لعبت البيئة الثقافية لمراكش وتنبكت دورًا محوريًا في إثراء تجربته العلمية. تؤكد الدراسة على أهمية التحقيق العلمي لهذه المخطوطات لضمان استفادة الباحثين من هذا التراث الثري. ويُعد أحمد بابا نموذجًا رائدًا للمؤلفين الذين أثروا المكتبة الإسلامية بنتاج علمي نوعي.

الكلمات المفتاحية: المنهج التأليفي، التراث المخطوط، أحمد بابا التنبكتي، المخطوطات العربية، تنبكتو.

Résumé

Cette étude examine la méthodologie de rédaction dans le patrimoine manuscrit à travers une analyse approfondie des œuvres d'Ahmed Baba al-Timbukti (1556-1627), l'une des figures majeures de la pensée islamique dans le Soudan. L'étude met en lumière le cadre général de cette méthodologie, qui a façonné les caractéristiques de la composition dans les manuscrits arabes, en clarifiant les éléments communs qui se manifestent dans les styles rédactionnels, les contextes de transmission et les symboles utilisés dans la rédaction des manuscrits. La recherche met l'accent aussi sur les méthodes de composition dans le patrimoine manuscrit, en détaillant les techniques employées par les auteurs dans la compilation, l'explication et le résumé, tout en explorant les différents styles de composition selon les objectifs scientifiques. La problématique de la recherche

réside dans la révélation des caractéristiques générales de la méthodologie de rédaction dans les manuscrits et de leur manifestation dans les œuvres d'Ahmed Baba al-Timbukti, qui a légué un patrimoine culturel riche reflétant les étapes du développement des sciences de son époque. L'étude s'appuie sur une approche descriptive et analytique, en analysant le contenu d'un ensemble de ses manuscrits pour comprendre sa méthodologie dans la rédaction scientifique. Les résultats montrent qu'Ahmed Baba a adopté diverses techniques de composition, telles que la complétion des lacunes, l'explication des concepts complexes et le résumé des textes volumineux, tout en respectant un ordre logique et méthodique reflétant sa personnalité scientifique encyclopédique. De plus, les environnements culturels de Marrakech et de Tombouctou ont joué un rôle central dans l'enrichissement de son expérience intellectuelle. Cette étude souligne l'importance de l'authentification scientifique de ces manuscrits pour permettre aux chercheurs de profiter pleinement de ce riche patrimoine. Ahmed Baba se présente comme un modèle éminent parmi les auteurs ayant enrichi la bibliothèque islamique avec une production scientifique distinctive.

Mots-clés : méthodologie synthétique, patrimoine manuscrit, Ahmed Baba al-Timbukti, manuscrits arabes, histoire de Tombouctou.

المقدمة

الحمد لله منزّل الكتاب ولم يجعل له عوجا، ثم الصلاة والسلام على معلم العالمين بشيرا ونذيرا يعدّ المخطوطات العربية من الوعاء الحضاري ودعائمه العلمية والفكرية للأجيال المتعاقبة عبر العصور، الموروث عن أعلام أفريقيا المسطورة باليد في صنوف العلم والمعرفة؛ من أجل تخليد التراث الإسلامي والأفريقي وترسيخه في الآفاق.

وذلك الكنز الثري جد مهم لدى كثير من الشعوب ـ قديما وحديثا ـ لما يحتضنه من مختلف المعارف الإنسانية، عرف تدوينه منذ عهد بعيد باللغة العربية وتارة بالعجمية بالحرف العربي، وكان أعلام السودان الغربي متحمسين بممارسة مهامه العلمية ـ تأليفا ونسخا وفهرسة ـ بجهود فردية أو بدعم من السلطات، فأسكيا داود بن محمد بن أبي بكر أول من اتخذ خزائن الكتب رسميا، وله نسّاخ ينسخون له كتبا، وربما يهادي بها العلماء.[1]

فمن خلال هذا التنقيب يتجلى لعالم الاطلاع والمعرفة المنهج التأليفي المتداول في التراث المخطوط، خاصة ما انتهج أحمد بابا التنبكتي في تدوين معظم مخطوطاته العلمية متنوعة المجالات، والتي لاتزال بعض منها بحاجة إلى دراسة وتحقيق.

هناك دوافع وأسباب مهمة إلى دراسة هذا الموضوع، تكمن أهمها: في الاكتشاف عن المنهج التأليفي المستخدم في تصنيف الكتاب المخطوط لدى علماء السودان في مختلف المجالات، والرغبة في التعريف بأحمد بابا التنبكتي الشخصية

[1] ـ يراجع: محمود كعت بن المختار القنبليّ، تاريخ الفتاش، تحقيق: عبد الرؤوف أحمد ميغا وآخرون، راجعه: أ. د هارون المهدي ميغا وآخرون، معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت مالي 2014م/1435هـ، ص152.

مع إبراز جهوده العلمية للجيل السائد في مجال العلم والمعرفة، ثم الوقوف على منهج أحمد بابا في التأليف بأنماطه المختلفة، المتمثلة في انتاجاته الفكرية غير المدروسة محتوى معظمها.

تصبو هذه الدراسة إلى التعرف على ذلك النهج المتواتر لدى مؤلفي التراث المخطوط من حيث المعايير المشتركة وصور التأليف، والمساهمة في ترجمة حياة أحمد بابا التنبكتي الشخصية والعلمية؛ مبيّنا خلالها أشكال مناهجه التأليفية في جمع الكم الهائل من المخطوطات المصنفة في مختلف المجالات المعرفية.

إن معالجة هذا الموضوع يلعب دورا مهما للاستفادة من الأساليب والخصائص المستخدمة في تدوين المخطوطات القديمة، مع محاولة إعادة تحديثها في مجال البحث العلمي المعاصر، ويتيح فرصة التعرف على شخصية التنبكتي الشخصية والعلمية في واقع المجتمع المالي وخارجه، مع استيعاب النمط المألوف في تدوين تراثه المخطوط بأشكاله المتنوعة.

إن طبيعة الموضوع تحدد المنهج المستعمل في معالجة البحث، وفي ضوئه تم الاعتماد على المنهج التاريخي والوصف التحليلي؛ موضحة خلالهما الإطار العام في كتابة المخطوطات مع تحديد أشهر مناهجها المستخدمة في التأليف، ثم دراسة وصف حياة أحمد بابا التنبكتي الشخصية والعلمية في مدينتي تنبكت ومراكش؛ معالجة الأشكال التأليفية في ثنايا بعض مؤلفاته المخطوطة.

يلاحظ على صعيد البحث العلمي في مجال التراث المخطوط دور مهم من قبل الباحثين المحليين في دراسة المخطوطات وتحقيقها، بدون تتبع أهم الأساليب المشتركة والمناهج التأليفية لدى مؤلفيها إبان ذلك دراسة وتحليلا، والتي يلاحظ لديهم نمط موحد في آليات متعددة وصور متنوعة في التأليف، ومن هنا تعرض الباحثان لدراسة هذه الإشكالية المكتشفة من خلال ما تمت ملاحظته من بعض الدراسات السابقة في المجال، فانبثقت الرغبة في تناول جزء علمي مهم حول المنهج التأليفي في التراث المخطوط كما هو موضح في العنوان، مركزة على بعض مجهودات أحمد بابا التنبكتي، وهو منهجه التصنيفي في النتاج الفكري المخطوط. وتتمحور الدراسة عن **إجابة الأسئلة الآتية:**

ـ ما أهم المعايير المشتركة في تدوين التراث المخطوط، ومناهجه الأكثر استخداما في ثناياه؟

ـ منْ الشيخ أحمد أحمد بابا التنبكتي السوداني؟

ـ ما الجهود العلمية السائدة في عصره؟

ـ ما أهم أشكال التأليف المعتمدة عند أحمد بابا التنبكتي؟

هيكل الدراسة، تحتوي معالجة هذه الدراسة على النمط الآتي:

المقدمة وأساسياتها: أسباب اختيار الموضوع، أهداف الدراسة، أهمية الموضوع، منهج البحث، مشكلة البحث ثم الأسئلة.

المبحث الأول: الإطار العام عن المنهج التحريري في تدوين الكتب المخطوطة

المبحث الثاني: مناهج التأليف في التراث المخطوط

المبحث الثالث: حياة أحمد بابا التنبكتي الشخصية والعلمية

المبحث الرابع: عصر أحمد بابا التنبكتي في تطور النشاط العلمي

المبحث الخامس: نماذج من الصور التأليفية عند أحمد بابا التنبكتي

الخاتمة (أهم النتائج، التوصيات، المصادر والمراجع)

المبحث الأول: الإطار العام عن المنهج التأليفي في تدوين الكتب المخطوطة

يقصد بالمنهج التأليفي هنا ذلك النهج السائد في البحث العلمي والدراسة لجمع حيثيات المعلومات وربطها في إطار متكامل حول موضوع ما؛ مدونة في طي كراريس وأسفار وقطعات معينة، ووثائق تشتمل على رسائل اجتماعية واقتصادية، وقرارات إدارية وغيرها ذات حجم صغير عادة في ورقة أو ورقتان، يطلق عليه المخطوط باختلاف صنوفه: حجما وخطا وفنا، وإنه لمن المصادر العلمية المهمة في البحوث والرسائل الأكاديمية؛ باعتباره الوعاء المحتضن للمظاهر الثقافية والسجل الخالد للتراث الإنساني؛ نتيجة جهد علمي من مختلف علماء العالم الإسلامي في فنون المعرفة مسطورا بالخط اليدوي2. وعليه نتناول وضعية تصنيف ذلك الكنز النفيس الذي اتسم بمعايير عامة ومناهج علمية مع اختلاف الخطوط وتعدد صور التأليف.

يبدو جليا أن هناك مجموعة من المخطوطات تشترك في منهج عام موحد بأساليب علمية رصينة في جمع المادة العليمة ومعالجة المحتوى، وهي قواسم مشتركة عموما؛ يتضح ذلك في الآتي:

1 ـ تحرير مقدمة الكتاب المخطوط، ففي الغالب يُستهل بالبسملة والصلعمة واسم المؤلَّف، ثم المؤلِّف أو العكس، سبب التأليف أو الهدف منه وغيره، والحال نفسه في قيد المتن (الذيل)3 فتوحي إلى نهاية المخطوط؛ مختتما بالدعاء وتاريخ الفراغ منه، وتارة اسم المؤلِّف والعنوان، ثم الناسخ4.

وهذا الأسلوب يخطو به كل من المؤلِّف والناسخ الذي قد يضيف عبارات الدعاء والثناء للمؤلّف في بداية المخطوط أو نهايته. ففي نسخة مخطوط (تحفة الفضلاء ببعض فضائل) لأحمد بابا التنبكتي، شرع الناسخ بالدعاء له بعد البسملة والصلعمة واسم المؤلَّف والمؤلِّف قائلا: "وفقه الله تعالى"5 وفي الذيل كذلك إعادة تعميم الدعاء للجميع بعد تحديد وقت الفراغ منه.

2 ـ البرهنة بأدلة من الكتاب والسنة النبوية، والاعتماد على نقول وأقوال العلماء والأئمة طبقا للدليل النقلي السالف ذكره، اقتداء بمنهج السلف على الوتيرة نفسها، لكن بدون تخريج أو توثيق المعلومة. وهذا الصنف منتشر في مؤلفات العلوم الشرعية والتربوية، والوثائق ذات الصبغة الدينية والإسلامية من المصالحة والتعايش السلمي ونحوه في ضوء

---

[2] ـ د. عبد الحميد الهرامة، ورقات في البحث والكتابة، ط3، دار الكتب الوطنية بنغازي ـ ليبيا ـ للطباعة 1370هـ/ 2002م، كلية الدعوة الإسلامية للنشر، ص 252 ـ 255.

[3] ـ ومن مسمياته: حرد المتن، الكولوفون، قيد الختام (وهي مترادفات لشيء واحد).

[4] ـ يراجع: أحمد بابا التنبكتي، مخطوط جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة، رقمه: 775، مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت، ق15.

[5] ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، رقمه: 776، مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت، ق1.

النسق الإسلامي؛ دعما للمواقف والآراء، مثل: مخطوط جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة لأحمد بابا التنبكي وغيره كثير؛ إذ يحتوي على موضوعات وقضايا شرعية تتطلب دلائل من الكتاب والسنة والدليل العقلي لمعالجتها وضبط مختلف أحكامها بشكل صريح وأكثر موضوعية.

3 ـ سياقات الترجيح والشروح لدى مؤلفي التراث المخطوط: والتي قد ترد مباشرة عقب النقول؛ مرتكزة ـ أحيانا ـ على القواعد الأصولية واللغوية وغيرهما، أو التعليق من المؤلِّف، مثلا: (قلت، تنبيه أو تنبيهات) ويُختتم ب (الله أعلم)، ومن هذا القبيل قول أحمد بابا التنبكتي: " قلت يعني أنه محال وجود شيء أشرف من العلم..."6 وبهذا الأسلوب تتمظهر شخصية المؤلِّف في صلب المحتوى حتى لا يكون مجرد ناقل، بل ينبغي أن تنجلي بصماته العلمية والفكرية في المواضع التي بأمس الحاجة إلى البيان والترجيح أو التعليق، كما كشف ذلك في العديد من المخطوطات.

4 ـ صيغ النقل الأكثر استعمالا في معظم المخطوطات، أشهرها: (قال أو قوله، يقال، قيل، نقلته أو هكذا نقلته، أخبرني، حدثني أو حدثنا، روى لنا أو يُروى، رأيتُ أو سمعتُ، رأينا أو سمعنا) وغيرها7، وهي بحد ذاتها دلالات توحي إلى تحديد نوع المصدر المقتبس منه مباشرة مكتوبة كانت أم شفهية، سيما الآيات والأحاديث النبوية، حينما ترد في المتن بصيغتي: (قال تعالى، أو قوله صلى الله عليه صلى الله عليه وسلم). ومن أضرب صيغ النقل: " حدثني شيخنا مور بكر بن صالح ونغربا wangaraba ـ رحمه الله تعالى ـ أنه كان معه حمل أربعين بغلة من الذّهب وحجّ وزار..."8 يفهم من هذا السياق أنها رواية شفهية والتي تستعمل كثيرا في المخطوطات التاريخية والتراجم وغيرهما، حيث يستمع المؤلِّف أو الراوي إلى من له إلمام أو شاهد عيان للأحداث والوقائع فيدوّنها كما هي.

ـ الرموز المستعملة في متون المخطوطات: تختلف بعضها عن علامات الترقيم المعاصرة في الكتابة، منها على سبيل المثال: (اهـ بمعنى انتهى) دلالة على نهاية الفقرة أو نهاية المخطوط، و(⌐) أو هكذا (⌐) ثم (صح أو ص)، وكلها إشارات تصحيحية تدل على أن هناك سقطات في متن المخطوط وتصحح في الحاشية الجانبية. وقد شاعت مثل هذه المصطلحات في تدوين عالم المخطوطات القديمة؛ لذا يعتني بها الباحثون بالدراسة والتحقيق في ضوء المطبوع الحديثي وفقا لمعايير المنهج البحث العلمي.

ـ يلاحظ في محتوى المخطوط (التعقيبات): يستعمل لتصنيف أوراق المخطوط وترتيبها؛ تفاديا من الخلط واللبس، وتسهيلا لقراءة الأجزاء متسلسلة، ترد غالبا في نهاية هامش ظهر الورقة تكون الكلمة نفسها في بداية وجه الورقة الموالية، وهي بمثابة ترقيم الصفحات في المطبوعات.

يمكن القول إن المخطوطات العربية القديمة تتسم بمنهج عام مشترك، تتميز به قديما وحديثا عن غيرها في المكتبات والخزائن المختصة، وما تم عرضه جزء يسير من العناصر العديدة والمتنوعة في مجال التراث المخطوط؛ للوقوف

---

6 ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، رقمه: 776، مصدر سابق، ق2.

7 ـ يراجع: محمود كعت بن المختار القنبليّ، تاريخ الفتاش، تحقيق: عبد الرؤوف أحمد ميغا وآخرون، راجعه: أ. د هارون المهدي ميغا وآخرون، مصدر سابق، ص17 ـ 24.

8 ـ نفس المصدر، ص 82.

على ماهية تلك المعايير العامة المشتركة لدى بعض مؤلفيه في منطقة السودان، إنه لجدير بالبحث والتنقيب في جميع المستويات في الفينة والأخرى.

المبحث الثاني: مناهج التأليف في التراث المخطوط

اكتشف في مجال التراث المخطوط أن هناك أشكال تأليفية مشتركة لدى مؤلفي الكتب المخطوطة في ذلك العصر بدرجات متفاوتة بينهم حسب الكم المؤلّف، وذلك الأسلوب العام شاع في مختلف المجالات من المعارف الإنسانية حسب أغراض التأليف المتعارف عليها ـ قديما وحديثا ـ نتناول أهم ذلك على النحو الآتي:

أولا: المخطوطات المختصة في العلوم الشرعية والتربوية، تمثل الغالبية في المكتبة العامة والخاصة، تنوع مؤلفوها في هذا المجال بأشكال معينة، منها:

1 ـ جمع المفترق، نتيجة ما تمت ملاحظته عن مؤلَّف سابق ذات مسائل في وحدة موضوعية، لكنها مبعثرة في كتب أخرى، ومن هنا يتصدى له المؤلِّف لجمعها ودراستها في كراريس موحدة أو في سفر واحد، وهذا النموذج يتضمن أكثر من مخطوط، مثل: (شرح الصدر وتنوير القلب ببيان مغفرة ما نسب للجانب النبوي من الذنب) لأحمد بابا التنبكتي، وفيه يقول المؤلف: " جمعت هنا من كلام بعض الأئمة العارفين أولي التحقيق وذوي البصيرة والتوفيق..."[9]

2 ـ منهج الشرح بأصنافه: بيان الغامض، الشرح الممزوج، الشرح بالقولة، شرح المستغلق؛ معتمدا على الكتاب والسنة، وأقوال الفقهاء مع التركيز على القواعد اللغوية والأصولية، فيرجح بينها بقوله(قلت أو تنبيه)، تارة بوضع هوامش أو حواشي جانبية للشروح، وهذا النمط شاع في العديد من المؤلفات المخطوطة، خاصة في مجال الفقه وأصوله حيث تسابق العلماء إلى شرح بعض الكتب الفقهية المختصرة أو تفصيل القضايا الأكثر غموضا، كشرح مختصر خليل بن إسحاق الذي تم شرحه مرات عديدة ومتنوعة في أسفار وكراريس معينة من قبل أحمد بابا التنبكتي على سبيل المثال لا الحصر.

3 ـ أسلوب اختصار المطول: يستخدم عادة في تلخيص المخطوطات التي لحوظ فيها الإطناب؛ وذلك من باب الاستدراك نتيجة الاطلاع على مصادر أخرى، أو تقريب المفاهيم بطريقة سلسلة بقصد التعليم وغيره[10]، ورد هذا النهج كذلك في مخطوطات متنوعة، مثل مخطوط أحمد باب التنبكتي: (مرآة التعريف بفضل العلم الشريف) الذي لخصه من كتاب الأم بعنوان: (تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء).

ـ تنظيم المحتوى في شكل فصول وخاتمة، وهذا النمط قليل الانتشار في التراث المخطوط، بل متداول في عالم المطبوعات الحديثة، وبالأخص في الرسائل العلمية، وتوجد منه نماذج ضمن قائمة مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في

---

[9] ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط شرح الصدر وتنوير القلب ببيان مغفرة ما نسب للجانب النبوي من الذنب، رقمه: 777، مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت، ق1.

[10] ـ د. عبد الحميد الهرامة، ورقات في البحث والكتابة، مرجع سابق، ص104 ـ 107.

حوالي ثلاثة مؤلفات، إحداها بثلاثة فصول وخاتمة، فالثاني والثالث بأربعة فصول وخاتمة، وتصدر في معالجتها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية حسب طبيعة الموضوع.

ثانيا: النهج العام في المخطوطات اللغوية، في الغالب عبارة عن شروح النظم لأمهات الكتب اللغوية أو التعرض لتوضيح قواعد معينة وغير ذلك، مثل كتاب أحمد بابا المكتشف في النحو، بعنوان: (اتحاد الفاعل والمبتدأ في شرط الإفادة أو تقييد في صحة تركيب قام رجل وتكلم رجل) الذي عالجه عن شكل سؤال وجواب في ضوء القياس والسماع في ثلاثة مقامات، وكتاب المخطوط في الصرف: (هبة اللطيف على البسط والتعريف في نظم ما جلّ من التصريف) لمحمد بوب بن أحمد مولود بن الطالب المهاجري الولاتي، تناول فيه منهج الشرح لمتن الكتاب الأصل الموسوم بـ: (البسط والتعريف في نظم ما جلّ من التصريف)11. وهو كتاب منظوم قد يصعب استيعاب موضوعاته لدى الطلبة فيحتاج إلى شرح وافي وبأمثلة.

ثالثا: كتب التراجم والطبقات، والتي انفرد أصحابها بترجمة أعلام مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومعظمها حققت من بعد، ويلاحظ أن محتواها العلمي يشترك في مسلك موحد على نمط ممن سبقه في المجال؛ وذلك بعد سرد المقدمة كالمعتاد، ثم الشروع في الترتيب الأبجدي، أي ترجمة الأعلام المبدوءة أسمائهم بحرف الألف حتى الياء، فمثلا في مخطوط (نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا) الذي تصدر بترجمة ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم، واختتم بـ يسكر أبو محمد موسى بن الجرائي.12

وفيما تم استعراضه من المناهج المستخدمة في مصنفات المخطوطات فهي الأكثر استخداما وانتشارا لدى أعلام المنطقة خاصة الذين خدموا المظهر العلمي والفكري تعلما وتعليما ثم تأليفا، والتي لا تختلف كثيرا لدى الأخرين ـ في الماضي والواقع ـ بين الأسلوب التقليدي بخط اليد وبين التجديد في الكتابة الحديثة بأنماط أخرى تأليفية وفنية معاصرة، لكنهم في ذلك المنهج التأليفي القديم متفاوتون في عدد المخطوطات كما ونوعا؛ تبعا لتعدد الثقافات والتوسع في الاطلاع المتأمل، أو راجع إلى جو البيئة المعيشة من حيث توافر النشاط العلمي والفكري، كما ساعد ذلك أحمد بابا التنبكتي إثر إقامته بمدينة مراكش، فتمكن من تأليف معظم كتبه المخطوطة بها.

---

11 ـ كتاب مخطوط حققه: الدكتور مسعود نوح سدبا؛ لنيل أطروحة دكتوراه، بعنوان: "دراسة وتحقيق مخطوط: هبة اللطيف على البسط والتعريف" سنة 2023م بمعهد الجامعي التربوي بماكو مالي.

12 ـ يراجع: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مصدر سابق، ص33 ـ 640.

المبحث الثالث: حياة أحمد بابا التنبكتي الشخصية والعلمية

أولا: اسمه: لقد ترجم أحمد بابا لنفسه في كثير من مؤلفاته المخطوطة فعُرف بـ: أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أُقّيت13 بن عمر بن علي بن يحي14 بن كدالة بن مكي بن نيق بن لف بن يحي بن تشت بن تنفر بن حيراي بن النجز بن ابي بكر بن عمر.

ثانيا: أنسابه: الماسني المسوفي الصنهاجي التكروري التنبكتي السوداني، مالكي المذهب. يكنى: (أبو العباس)، وعرف ب:(باب). تكمن أنسابه في منطقة النشأة والولادة والقبيلة التي انحدر منها، ثم المذهب، وهي ثابتة في مختلف مؤلفاته.15

ثالثا: ولادته: تنبكتي الأصالة ـ ولادة ونشأة ـ ولد بتاريخ: "ليلة الأحد والحادي والعشرين من ذي الحجة ختام عام ثلاثة وستين وتسعمائة" ؛ وذلك بترجيح خط والده ـ رحمه الله تعالى ـ أي: الأحد 21/ذو الحجة/963هـ، الموافق 1556م.

وقيل: أنه من مواليد مدينة أروان التي تبعد عن مدينة تنبكت حوالي 240 كلم2، وهذا الرأي غير مسلّم؛ لشهرة النسبة إلى مدينة تنبكت وتواترها في معظم المصادر العلمية؛ معتمدا على ما أثبته هو بخط والده في كتابه، وليس هناك ما يترجح نسبته إلى مدينة أروان. ويبدو أن ما قام به التنبكتي من ترجمة نفسه أزال الغموض في نسبة مؤلَّفه إلى غيره، وفي ذلك يقول: " ولما كانت النفوس تتشوق لمعرفة مؤلفي الكتب رأيت أن أذكر نفسي هنا لئلا يجهلني من وقف على هذا الجزء ..."16 وذلك من باب توفير بياناته الشخصية للنساخ والقراء فالباحثين في استهلال جلّ المصنفات؛ تفاديا من الوقوع في نسبة مؤلَّفه إلى غيره، كما حدث لكثير من المؤلفات المخطوطة غير مذكورة مؤلّفيها في بداية المتن أو ذيله.

رابعا: نشأته العلمية والاجتماعية: نشأ في تنبكت وترعرع بها في أحضان أسرتي: آل أقيت من جهة الوالد، وآل أندغ محمد من جهة الأم، اللتان اشتهرتا بالعلم والصلاح في بلاد السودان، فتعاقبت فيهما العلماء والقضاة والأئمة بالوراثة خلفا عن سلف نحو (17عالما)17.

---

13 ـ بضمّ الهمزة، وهي كلمة أمازيغية تعني (ابن). تنسب إلى قبيلة مسوفة كدالة من فروع صنهاجة السودانية المشهورة بالعلم. وأن محمد أقيت جد الأسرة هاجر من موطنه الأصيل مدينة ماسنة مولدا إلى بلدة (بير Ber)، ثم استوطن في مدينة تنبكت في منتصف القرن التاسع الهجري.

14 ـ ومن هنا توقف عن الترجمة في نيل الابتهاج بتطريز الديباج مع ذكر أنسابه: التكروري، التنبكتي، المالكي، المعروف ببابا. وفي بداية كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج اكتفى بمحمد أقيت بإضافة التنبكتي، أما بقية الأسماء واردة عند تراجم غيره ككتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للطالب محمد البرتلي الولاتي، ص60.

15 ـ يراجع: أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط المغرب، 2000م/1421هـ، ج2، ص281.

16 ـ المصدر نفسه، ص281.

17 ـ يراجع: عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحقيق: هوداس وبنوة، المكتبة الأمريكية بباريس فرنسا 1981م/1401هـ، ص28 ـ 30.

وفي ظل هذا الصرح العلمي تكوّن وتلقى دروسه الأولية منذ الصبا؛ إذ تتلمذ على والده ـ الشيخ أحمد ـ في سن الطفولة، فتعلّم منه القرآن الكريم والحديث ونحوهما، ثم عمه الشقيق أبوبكر الذي علّمه مبادئ النحو وغيره، كذا شيخه محمد بغيع الونكري الذي له بصمات تأثيرية في تكوينه المعرفي في مختلف الفنون طيلة سنين في المنطقة السودانية.

عاش أحمد بابا التنبكتي قسطا كبير من حياته بمسقط رأسه (مدينة تنبكت)18. والوضع الاجتماعي لأحمد بابا لم يرد فيه إلا اليسير بسبب ما حلّ به وأفراد عشيرته من الفتن والطاعون ممّا أدّى إلى وفيات الكثير منهم. فخلف من بعده ذرّية: ابنا وحفدة، فالابن هو محمد بن أحمد بابا، وحفدته هم: محمد، نانا عائشة19، أحمد أبوبكر، عمر بابا، وهؤلاء جميعهم برعوا في شتى المجالات كعلم التنجيم ومهنة الكتاب المخطوط وغيرهما.20

وفي ظل الأوضاع السياسية المضطربة بين السلطان أسكيا إسحاق الثاني ـ وبين السلطان المنصور الذهبي، امتحن أحمد بابا التنبكتي وعشيرته برحلة إجبارية نحو مدينة مراكش في ظروف معقدة؛ لأسباب سياسية بحتة من القائد محمد بن زرقون تحت أوامر المنصور، وحلت بهم حالة مأسوية خلال هذه الهجرة، فسقط التنبكتي عن ظهر الجمل وكسرت ساقه، وأصيب أفراد العائلة بالطاعون، فتوفي الكثير منهم، كعمه عبد الله بن محمود بن أُقّيت21. وذلك الحدث الأليم بتاريخ غرّة رمضان عام 1002هـ حتى يوم الأحد الحادي عشر من رمضان سنة 1004هـ، وشاء قدر الله أن مكث نحو أربع عشرة سنة في المغرب مسجونا في الوهلة الأولى، ثم أطلق سراحه لممارسة مهامه العلمية التي انتهز خلاله في تأليف الكتب المخطوطة. وافقت عودة التنبكتي لمدينة تنبكت يوم الثلاثاء العاشر /من ذي القعدة/ 1014هـ، الموافق: 1608/02/26م بإذن من زيدان ابن السلطان المنصور السعدي إثر وفاته.22

خامسا: شيوخه وتلاميذه: أخذ العلوم عن مشايخ متعددي الأساليب في التعليم من مختلف بقاع الأرض، خاصة لدى بعض أعلام تنبكت وبلاد الحرمين، منهم على سبيل المثال: أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ـ والده المربّي ـ ولد في شهر المحرم عام 929هـ/1522م بمدينة تنبكت، وافته المنية ليلة الاثنين سابع عشر من شعبان

---

18 ـ وقيل بحي سنكورى حيث جامع سنكورى ـ المسجد ـ الذي بجواره مقر أحمد بابا التنبكتي، الذي اتخذ رسميا في يومنا هذا مقرا لمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت، تم بناء هذا المبنى من قبل سلطة جنوب أفريقيا في عهد الرئيس (تابو امبيكي Thabo Mbeki) لصالح خدمة التراث الأفريقي وحمايته، وافتتح تاريخ:2009/1/24م، وهناك مباني أخرى غيره في تنبكت للمعهد.

19 ـ اكتشف اسمها في حاشية احدى النسخ المخطوطة لنيل الابتهاج بتطريز الديباج بالمكتبة الوطنية بمدينة باريس تحت رقم: 5257. يراجع: أحمد بن محمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس، المطبعة الملكية بالرباط المغرب 1983م/1403هـ، ص314، ص314.

20 ـ يراجع: عبد الحي بن عبد الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي 1982م/1402هـ، ج1، ص314.

21 ـ عبد الله ابن الفقيه القاضي محمود بن عمر أقيت المتوفى في شهر شعبان سنة 1006هـ/ 1598م، تعلّم هو وأخوه عبد الرحمن عند ابن عمهما الحاج أحمد بن أحمد. يراجع: الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تحقيق: عبد الودود ولد عبد الله وآخرون، دار نجيبوية للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر بالقاهرة سنة 2010م/1431هـ، ص282 ـ 283.

22 ـ يراجع: عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية بالرباط المغرب سنة 1990م/ 1410هـ، ج5، ص333 ـ 336.

991هـ/1583م بتنبكت، وأبوبكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ـ عمّه الشقيق ـ أحد شيوخه الأسري، من مواليد مدينة تنبكت عام 932هـ/1525م، وفي أواخر عمره استقر بالمدينة المنورة مع عائلته وبها توفي سنة 991هـ/1583م.23

ثم شيخه محمد بن محمود بن أبي بكر الونغري ـ المعروف بمحمد بَغْيُغُ التنبكتي، المتوفى يوم الجمعة في شوال عام 1002هـ/1593م ودفن بمقبرة سنكوى في مدينة تنبكت. قال تلميذه في حقه: " ما نفعني أحد كنفعه وبكتبه رحمه الله تعالى وجازاه الجنة. وأجازني بخطه جميع ما يجوز له عنه"24

أما اتساعه العلمي في الخارج، فقد حظي بمقابلة بعض شيوخ بلاد الحرمين الشريفين أثناء رحلته لأداء مناسك الحج، فتفقه في فنون وأجيز له بروايتها عنهم، مثل: الشيخ يحي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المكي وغيره.

تتلمذ عليه نخبة من علماء تنبكت ومراكش الذين يشار إليهم بالبنان في مختلف المجالات العلمية، أمثال: عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي صاحب تاريخ السودان، تنبكت مولدا سنة1004هـ/1596م، ثم أبو عبد الله محمد بن يعقوب الإيسي المراكشي، المولود في مدينة مراكش سنة 966هـ/1558م وغيره.25

سادسا: مؤلَّفات أحمد بابا: ألّف العديد من المصنفات المهمة في صنوف الفنون، منها على سبيل المثال: نيل الابتهاج بتطرير الديباج، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، شرح مختصر خليل، الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان وغيرها. جزء منها محققة، معظمها بأمس الحاجة إلى دراسة وتحقيق أو إعادة تنقيبها من قبل الباحثين المحليين.

سابعا: وفاته: جاءه الأجل ـ عليه رحمة الله ومغفرته ـ في مدينة تنبكت صباح الخميس السادس من شعبان سنة 1036هـ/ 22 أبريل 1627م، وفي رواية عام: 1032هـ، لكن الأقرب إلى الصواب هو التاريخ الأول لكثرة تواتره في المصنفات العلمية.26

---

23 ـ يراجع: أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، مصدر سابق، ص137 ـ 181.

24 ـ نفس المصدر، ص237.

25 ـ يراجع: أحمد بن محمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس، مصدر سابق، ص311.

26 ـ يراجع: الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، مصدر سابق، ص74.

المبحث الرابع: عصره العلمي في النهضة الثقافية بين حواضر تنبكت والمغرب

وفي القرنيْن السادس عشر والسابع عشر الميلاديّن، الموافق القرن العاشر والحادي عشر الهجريّن، عاش أحمد بابا التنبكتي في ظل متعددة الأوضاع، لكن المحور الراهن يدندن حول ذلك النشاط الثقافي الذي ازدهر في مراكز تنبكت ومراكش في ذلك العهد، الذي لوحظ فيه تقدما حضاريا بمساندة من سلاطين السودان وبلاد المغرب، كفترة حكم أسكيا داود بن محمد بن أبي بكر ـ التي عاش فيها أحمد بابا ـ كانت هناك اسهامات علمية في دعم الحركة الثقافية وازدهارها؛ لما في ذلك العناية الفائقة بمهنة التعليم ونسخ المخطوطات ونحوه، كان يهدي لأهل العلم الكتب المنسوخة، ويوفر لبعضهم معونة التلاميذ كشرائه نسخة القاموس بثمانين مثقالا من الذهب.27

وكان للشعب السوداني اهتماما بالغا وإقبالا عظيما على خدمة التراث المخطوط، المتمثل في ممارسة مهنة المخطوطات تأليفا وجمعا ونسخا، وبهذا الشأن يقول الحسن الوزان واصفا: " إن المخطوطات الكثيرة من بلاد المغاربة كانت تباع وتدر على أصحابها أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع" إن المبالغة في الوصف نتيجة اعتناء أهالي المنطقة بهذه المهنة، وتقدير جهود محترفي المخطوطات.

اشتهرت مدينة تنبكت وغيرها آنذاك بمجالس العلم وجوامعه لطلبة المحليين والوافدين من أنحاء العالم الإسلامي طلبا للعلوم، وفي ذلك يعرض أحمد بابا التنبكتي أسلوب التعليمي لشيوخ عصره، فمثلا طريقة الشيخ محمد بغيع الونغري في التعليم عبارة عن تلقين وإلقاء واستعراض وتنقيب وإعادة، وعن الوضع نفسه يذكر التنبكتي: " فختمت عليه مختصر خليل بقراءتي وقراءة غيري، وختمت عليه الموطأ قراءة فهم وتسهيل، وابن مالك قراءة بحث وتحقيق...وقرأت عليه فرعي ابن الحاجب قراءة بحث جميعه، وصحيح البخاري سمعته بقراءته... وسمعته بلفظه..."28

وكان دور أسرة أحمد بابا التنبكتي فعّالا في خدمة المظهر الثقافي وتطوره خلال الفترة التاريخية، وحظي بعض أفرادها بالإمامة والقضاء سنين عددا، ووفروا خدمات جليلة في تعليم أبناء المسلمين وتثقيفهم في شتى المعارف، عرفت الأسرة بتوريث العلم نحو خمس مئة سنة. لقد ترك جدّه أحمد بن عمر بن محمد أقيت29 مكتبة علمية شاملة احتضنت حوالي سبع مئة مؤلَّف، وهكذا والده أحمد خلّف العديد من المصنفات الثرية. فقد ترجم التنبكتي لبعض أفراد الأسرة في نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وبوّب السعدي لأعلام هذه الأسرة العلمية في تاريخه السودان؛ مبيّنا أهم جهودهم العلمية في دعم التراث الإسلامي.30

---

27 ـ يراجع: محمود كعت بن المختار القنبليّ، تاريخ الفتاش، مصدر سابق، ص151 ـ 164.

28 ـ أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط المغرب، 2000م/1421هـ، ج2، ص239.

29 ـ جدّ أحمد بابا التنبكتي من جهة الأب المعروف بالحاج، أحد العلماء البارزين في بلاد السودان، تتلمذ على شيوخها العارفين، أمثال جده لأمه اندغ محمد قاضي مدينة تنبكت، وخاله الفقيه المختار النحوي، حج سنة1485م/ 890هـ، توفي عام1536م/943هـ. يراجع: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ليبيا 1989م/1398هـ، ص137 ـ 138.

30 ـ يراجع: عبد الرحمن السعدي، تاريخ الفتاش، مصدر سابق، ص28 ـ 30

وفي قرابة القرن العاشر الميلادي حتى القرن التاسع عشر، يلاحظ جهود الرحلة الاكتشافية والتسابقية عن دعائم الحضارة المتجسدة في البلاد السودانية ـ مراكزها ومعالمها الثقافية ـ وكانت مدينة تنبكت في صميم الجهات المستهدفة من المستشرقين؛ لمكانتها العلمية والثقافية. وفي إثر رحلة ابن بطوطة لهذه البلاد يذكر المبادرة العلمية لدى الشعب السوداني بشأن عنايتهم الفائقة بتعليم القرآن الكريم وثقافة الإسلام، يذكر أن التلميذ يُقيد في حالة تقصيره للحفظ، ويطلق سراحه إذا ضبط الآيات.31

أما عصر أحمد بابا التنبكتي في رحاب مدينة مراكش، التي استوطن بها خلال سنوات معدودة على رغم أنفه مصادفة بزمن السلطان المنصور الذهبي، الذي اتسم بالتقدم العلمي وازدها الحركة الفكرية بدعم ملحوظ من السلطة السعدية، حيث تم تشييد خزانات الكتب العلمية وتنظيمها، وانتشرت في ضوئه المراكز التعليمية ودور العبادة، ومختلف الأنشطة البحثية التنافسية بين العلماء في مجال التأليف. وكان هناك تقدير لجهود العلماء بتعيين بعضهم في مناصب عليا دينية وعلمية، أمثال: عبد العزيز الفشتالي32 صاحب (مناهل الصفا) باعتباره وزير الديوان الأعلى.

وفي الوقت نفسه تنعقد جلسات علمية بين العلماء والجهات الرسمية، كالحوار الطريف بين السلطان الذهبي وأحمد بابا التنبكتي بمناسبة عرض احتجاجاته ضد تصرفات السلطة في تهجيره وأفراد عائلته، وانتهى الأمر باقتناع السلطان بترجيح الموقف ببراهين من الكتاب والسنة. ومثل هذا الحوار الرسمي يؤدي دورا علميا في دعم الثقافة وترسيخها.

إن فترات إقامة أحمد بابا التنبكتي بمراكش حافلة بمختلف أنشطة العلم والمعرفة، فكان إطلاق سراحه من السجن فرصة نتاج علمي متجدّد، فقدم النفس والنفيس في تشييد دعائم الثقافة السائدة آنذاك، حيث واصل الدرب في ممارسة التعليم والتأليف والفتيا في المجالس العلمية والجوامع، عمل مفتيا في جامع الشرفاء بمراكش، ومعلّما في جامعة القرويين التي اشتهر أعلامها وطلابها بخدمة العلم بدرجة متفوقة في ذلك العهد، فقام بتكوين ثلة من كوادر العلم والمعرفة، وألّف معظم مؤلفاته المخطوطة خلال الغربة بمراكش.33

وفي الفترة نفسها حظي أحمد بابا التنبكتي بإشادة وشهادات علماء زمانه ـ شيوخه وتلاميذه ـ على إثبات مدى قدراته العلمية في مختلف الفنون ـ تأليفا وتعليما وفتيا ـ طيلة سنوات الاستيطان في المنطقة السودانية والمغربية، وفي ذلك أثنى عليه تلميذه المقري وصفه بأنه: " الشيخ المؤلف الكبير المصنف العلم الطائر الصيت". 34

المبحث الخامس: نماذج من الصور التأليفية عند أحمد بابا التنبكتي

---

[31] ـ يراجع: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان وآخر، ط1، دار إحياء العلوم بيروت لبنان 1987م، ج1، ص704.

[32] ـ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الصنهاجي الفشتالي من مواليد مدينة فاس سنة 952هـ أو 956 هـ، من شيوخه أبي العباس أحمد بن علي المنجور وأبي مالك عبد الواحد الحميدي وغيرهما، حظي بتنصيب المنصور الذهبي في عدة مناصب الدولة السعدية. يراجع: أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل في مآثر موالينا الشرفا، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة بالرباط المغرب، ص2.

[33] ـ يراجع: مولاي أحمد بابير الأرواني، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تحقيق: الهادي المبروك الدالي، ط1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس ليبيا 2001م، ص61.

[34] ـ يراجع: أحمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس، مصدر سابق، ص303.

فمن مصنفي ذلك التراث المخطوط من مارس فن التأليف في وقت مبكر من العمر؛ شغفا في تقريب المعرفة وخدمة للنشاط العلمي وازدهاره في المنطقة؛ اقتداء بمنهج سلفه في المجال، فأحمد بابا مثلا حرر كتابه المخطوط الأول وهو ابن 34 سنة تقريبا، بعنوان: (جلب النعمة ودفع النقمة من مجانبة الولاة الظلمة) سنة 996هـ وانتهى منه يوم الخميس ثاني ذي الحجة عام 997هـ. ألّف أحمد بابا التنبكتي عشرات المخطوطات في مجالات عديدة وبأنماط مغايرة، إما في تكميل الناقص، أو في شرح الغامض، وتارة أخرى في تلخيص المطول ونحوه ذلك، ومن ذلك القبيل:

1 ـ منهج تكميل الناقص:

يتمثل في كتاب (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)، والسبب من تأليفه ترجمة أعلام غير مذكورة أسمائهم أو الإضافة في بعض المواضع؛ تكملة لكتاب (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب) لابن فرحون (ت799هـ/1396م). وفي المقدمة يبرز التنبكتي أهداف التأليف ودوافعه، حيث يرى أن المؤلَّف السابق، لم يكن بعده تأليف متوسع في المجال من أهل زمانه، فقصد في خط هذا المخطوط؛ من أجل تغطية الجوانب الناقصة في ذكر ممن ليس في ديباج ابن فرحون، والتوسع في بعض تراجم من ذكره من الجهود العلمية والأوصاف، وفي ذلك قوله: " فما زالت نفسي تحدثني من قديم الزمان...باستدراكي عليه ببعض ما فاته أو جاء بعده من الأئمة الأعيان..."[35] وعليه إن ابن فرحون اقتصر على تعريف نحو 630 عالما دون التفصيل، بينما تصدى التنبكتي لترجمة نحو 802 عالما من أعيان فقهاء العالم الإسلامي.

2 ـ منهجه في اختصار المطول، يتضمن:

أ ـ يشمل مخطوط (كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج) مخصص في الطبقات والتراجم جاء نتيجة استدراك وجمع أعلام غير مذكورين في الديباج؛ اختصارا للنيل، واستدرك فيه مثلا: ترجمة نفسه في نهايته مفصلا، وترجمة علي بن محمد بن علي المعروف بأبي الحسن بن بري وغيره، واختصر في التراجم، وعدم تكرار النقول من مصادر مختلفة، ويلاحظ فيه التنسيق، وفي ذلك قوله: " وهذا آخر ما يسر الله تلخيصه في هذا الجزء اختصرته من ذيلي الكبير على الديباج...حذفت في هذا بعض التراجم والأخبار..."[36]. عالج التنبكتي كتابيه في التراجم أعلاه بهيكل موحد وفق منهجين مختلفين: تكميل الناقص، وتلخيص المطول، شرع فيهما بالمقدمة ومحتوياتها، ثم الالتزام بالترتيب الأبجدي في الترجمة من حرف الألف إلى الياء (بدء بترجمة الإبراهيميين فالأحمديين الخ).

ب ـ تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، الذي لخصه أحمد بابا تحت عنوان: (مرآة التعريف بفضل العلم الشريف)، أعاد تأليفه أثناء مكثه بالمغرب بتاريخ: يوم الثلاثاء 3/جمادى الأخرة/1016هـ بتمكروت من بلاد درعة؛ تذكرة للغافلين، ولفت انتباه المهتمين بشأن قيمة العلم وأهله، ركّز فيه على سرد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات الصلة بالموضوع، وأقوال بعض العلماء، ثم يبرز موقفه فيها؛ لتقريب المعاني واستيعابها في صورة منهجية علمية، أكّد

---

[35] ـ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مصدر سابق، ص28

[36] ـ أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج2، ص484.

المؤلف ذلك قائلا: " لخصته من الجزء الذي سميته تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء أذكر فيه بعض البعض، وعرف الفيض..."37

ـ شرح الغامض:

وهذا النمط من صور تأليف أحمد بابا شاع في مجال الفقه والفتيا، خاصة حول كتاب (مختصر خليل) لخليل بن إسحاق، الذي تسابق إليه العلماء بالشرح لاختصاره المبين، صنف فيه التنبكتي في عدة مواضع بالشرح والتحليل، فسماه (المقصد الكفيل بحل مقفل خليل) من باب الزكاة إلى النكاح في سفرين أي الربع الثاني من المختصر، وحاشيته عليه بعنوان:(منن الرب الجليل ببيان مهمات خليل) في سفرين، وتعرض كذلك لبعض المسائل الفقهية المعقدة فيه في كراريس، ومنهج التنبكتي في ذلك كله يكمن في إزالة الغموض واللبس، ففصّل في محتوى المختصر بتحديد المصطلحات لغة وشرعا، وفي مستهل الشرح أبان المقصود اللغوي للزكاة بمعنى الذبح والتمام، وفي الشرع هو سبب يتوصل به لإباحة ما يؤكل من الحيوان، ويتميز منهجه أيضا بتقطيع أقوال خليل إلى مقاطع معينة، فيبينها على ضوء آراء الفقهاء واللغويين مع الترجح بينها بصيغة المتكلم (قلت)، ويستعمل في نهاية الاقتباس أو الفقرة كلمة(انتهى أو الله أعلم)، نحو: " قلت إن قصد به نفهم كره أو التقرب به...انتهى"، وقد يستعمل تنبيه مثل قوله: "تنبيهان الأول مهم من كلامه جواز ذبح صغير مميز وامرأة بلا كراهة..."38. أما الفيصل بين الشرح ومتن المختصر فهو ذكر قوله أي قول خليل، مثلا قوله في الميراث:" وللخنثى المشكل" وقوله:" نصف نصيبي ذكر وأنثى"39

ـ شرح المستغلق:

تنحصر في المسائل الأكثر إشكالية وتعقيدا في المختصر والتي اختلف الفقهاء في تحديد أحكامها بين الجواز والكراهة ونحوهما، فلقد تصدى لها المؤلف التنبكتي بإعادة الشرح منفردة في كراريس معينة، منها: تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف، إفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع، الزند الورى في مسألة تخيير المشتري وغيرهما، التزم في تحليلها بمنهج الشرح الوافي بتقطيع النص إلى جمل وكلمات أو حروف، كقوله في عموم اللفظ: (وخصصت نية الحالف)، (وقيدت) نية إطلاقه الشرط ونحوه، وفي هذه المسألة بيان عن تحديد المعنى وتقريره في صيغ الأيمان، تناولها التنبكتي مرتين بالشرح في أواخر القرن العاشر الهجري قبل هيمنة المغاربة على تنبكت، بعنوان: تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف، ثم بالاختصار إثر إقامته في مراكش في حدود سنة 1014هـ بموسوم: إرشاد الواقف على تحقيق معنى وخصصت نية الحالف40.

---

37 ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط مرآة التعريف بفضل العلم الشريف، رقمه: 333، مكتبة معهد أحمد بابا، ق3.

38 ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط منن الرب الجليل ببيان مهمات خليل (نسخة الكترونية)، مكتبة معهد أحمد بابا، ق1.

39 ـ المصدر نفسه، ق350.

40 ـ يراجع: أحمد بابا التنبكتي، تحقيق إرشاد الواقف على تحقيق معنى وخصصت نية الحالف، رقمه:9125، مكتبة معهد أحمد بابا، ق 14. وهذا الكتاب المخطوط حققه الدكتور دريسا تراورى، الأستاذ المشارك في معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت ـ مدير البحث العلمي ـ مقالة منشورة في مجلة رفوف بالجزائر، المجلد السادس، العدد الثاني، سنة 2018.

فمنهج إعادة تأليفه في موضوع واحد قد يرجع إلى التوسع في البيان عندما يطلع على مصدر مهم لم يكن بحوزته، أو تقريب المفاهيم بأيسر طريقة تسهيلا للاستيعاب والإلمام؛ معتمدا على القواعد اللغوية والأصولية وأقوال الفقهاء مع الترجيح بينها، حتى تتضح المسألة أكثر وتعم الفائدة للقراء والباحثين بشكل سلس.

يمكن القول إن أحمد بابا التنبكتي موسوعي متفطن في الاطلاع والتأليف مما ساعده في تصنيف الكم العلمي وفق صور تأليفية مختلفة في صنوف العلم والمعرفة. وهناك نماذج وأشكال أخرى غير واردة في هذا المقال يمكن استدراك مطالعتها ومتصفحاتها في مضامين كتبه المخطوطة التي تفوق عشرات المصنفات في العديد من المكتبات والخزائن محليا ودوليا.

الخاتمة: وهي تتضمن جملة من النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج: وبعد إجراء البحث عن آليات الموضوع توصل الباحث إلى نتائج مهمة، أهمها:

ـ اكتشف الباحث أنّ هناك العديد من المعايير المشتركة ومناهج التأليف العامة لدى مؤلفي التراث المخطوط التي تميزه عن غيره من المصنفات الأخرى.

ـ إن أحمد بابا التنبكتي السوداني حافل بصنوف الفنون العلمية والفكرية في دعم النشاط الثقافي وترسيخه بين أقطار البلاد المعمورة إبان العهد.

ـ الوقوف على أشكال التأليف المتداولة في ضوء كنوز أحمد بابا التنبكتي المخطوطة؛ خاصة ذلك النمط في تكميل الناقص وشرح الغامض واختصار المطول.

ثانيا: التوصية: استنادا إلى النتائج يوصي الباحث المؤسسات المختصة والباحثين المحليين والدوليين:

1 ـ العناية الفائقة بحماية الكتاب المخطوط واستعراضه في سماء العلم والمعرفة: صيانة وفهرسة ورقمنة، ثم دراسة وتحقيقا ونشرا وترجمة.

2 ـ إجراء بحوث مماثلة حول المنهج التأليفي في التراث المخطوط؛ تغطية لبقية الجوانب الأخرى مهمة في المجال.

3 ـ التوسع في البحث والدراسة عن جهود أحمد بابا التنبكي الفكرية، خاصة صور تأليفيه من خلال مصنفاته الخالدة.

المصادر والمراجع:

1 ـ أبو العباس أحمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية بالرباط 1983م/1403.

2 ـ أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق:عبد الكريم كريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة بالرباط المغرب.

3 ـ أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط المغرب 2000م/1421هـ، ،ج 1، وج2.

4 ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط منن الرب الجليل ببيان مهمات خليل(نسخة الكترونية)، مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت، مالي.

5 ـ أحمد بابا التنبكت، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم وإشراف: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ليبيا 1989م/1398هـ.

6 ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط إرشاد الحالف على تحقيق وخصصت نية الحالف، رقمه: 9125 مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت.

7 ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة، رقمه:775، مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت مالي.

8 ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط شرح الصدر وتنوير القلب ببيان مغفرة ما نسب للجانب النبوي من الذنب، رقمه: 777،مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت مالي

9 ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط مرآة التعريف بفضل العلم الشريف، رقمه: 333، مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت مالي.

10 ـ أحمد بابا التنبكتي، مخطوط تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، رقمه: 776، مكتبة معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت مالي.

11 ـ الحسن بن محمد(ليون الإفريقي) الوزان الفاسي، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1983م/1403، ج1.

12 ـ الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: عبد الودود ولد عبد الله وآخر، دار نجيبوية للبرمجة والدراسات بالقاهرة مصر2010م/1431.

13 ـ محمود كعت المختار الفُنْبِيليّ، تاريخ الفتاش، تحقيق: عبدالرؤوف أحمد ميغا وآخرون، راجعه: أ.د هارون المهدي ميغا وآخرون،معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكت2014م/1435هـ.

14 ـ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم بيروت لبنان198م/1407هـ، ج1.

15 ـ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ببيروت لبنان1982م/1402هـ، ج1.

16 ـ عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحقيق: هوداس وبنوة، المكتبة الأمريكية بباريس فرنسا1981م/1401هـ.

17 ـ عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية بالرباط المغرب(1990م/1410هـ، ج5.

18 ـ د. عبد الحميد الهرامة، ورقات في البحث والكتابة، ط3، دار الكتب الوطنية بنغازي ـ ليبيا ـ للطباعة1370هـ/ 2002م، كلية الدعوة الإسلامية للنشر.

19 ـ مولاي أحمد بابير الأرواني، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تحقيق: الهادي المبروك الدالي، ط1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس ليبيا2001م.